Print ISSN: 2008 - 7217
Online ISSN: 2383 - 2681
Journal of Arabic Language & Literature
www.jall.um.ac.ir

Journal of Arabic Language & Literature, Vol. 15, No.1 Serial Number.32

analyz of the poetry of Muhammad Abd al-Bari based on Pierre Girou's theory, case study:The poem “What Zarqa al-Yamama did not say”

Doi:10.22067/jallv15.i1.2211-1206

Hosain Elyasi Mofrad[1]
visiting professor in Arabic Language and Literaturer, University of Tehran, Tehran, Iran

Zeinab Ghasemiasl
Assistant professor in Arabic Language and Literaturer, Farhangian University, Tehran, Iran

Received:22 November2022 ▌Received in revised form:13 January 2023 ▌Accepted: 6 March 2023

Abstract

The methods of analyzing poetic texts have changed due to the evolution of critical awareness. Research on texts now relies on the dialectical relationship with the text and its systematic reception in order to uncover the true meaning. This goal is achieved by understanding the symbolic system and nodes of the text. Semiotics, a new critical method, plays a crucial role in understanding and removing ambiguity from the text. It aims to bridge the gap between the text and its recipient.This article focuses on Muhammad Abd al-Bari's poem "What Zarqa al-Yamamah Did Not Say" using a semiotic approach. The main objective is to gain insight into his poetic experience and explore new horizons for contemporary Sudanese poetry. Additionally, this research aims to investigate the behavioral reality of Arab people in modern times.The results of this study reveal that the poem is rich in symbols, characters, and historical codes. The poet uses these elements to depict a tragic future. In terms of aesthetics, the text defamiliarizes language by disrupting normal connections between words, vocabulary, and linguistic structures. By portraying the poet's life reality through poetry, the language of the text serves an ironic function, revealing a reality that the poet may not be receptive to.In addition to depicting a tragic future, the poet also envisions a bright future that can be achieved through new awareness and knowledge.

Keywords: Contemporary Arabic poetry, Muhammad Abd al-Bari, What Zarqa al-Yamama did not say, semiotics.

[1]. Corresponding author. Email: hsn_elyasi@ut.ac.ir

اللّغة العربية وآدابها (الفصلية العلمية المحكمة)
www.jall.um.ac.ir
الترقيم الدولي الموحد للطباعة: 7217 – 2008
الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: 2681 – 2383

اللّغة العربية وآدابها، السنة الخامسة عشرة، العدد ١ (الرقم المسلسل ٣٢)، ربيع ١٤٤٤، صص:٧٢-٥٥

مقاربة لشعر محمد عبدالباري في ضوء نظرية بيرجيرو؛ قصيدة «ما لم تقله زرقاء اليمامة» أنموذجاً

(المقالة المحكمة)

حسين إلياسي مفرد (مدرس بجامعة لرستان وخريج مرحلة الدكتوراه، جامعة طهران، طهران، إيران، الكاتب المسؤول)[1]
زينب قاسمي أصل (أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة فرهنكيان، طهران، إيران)

Doi:10.22067/jallv15.i1.2211-1206

الملخّص

تطوّرَت مناهج دراسة النصوص الشعرية وتحوّلت بفعل التطوّر الشامل في الوعي النقدي المعاصر وصارت العلاقة مع النص الشعري هي العلاقة القائمة على أساس الجدل والمشاكسة والتلقي المنهجي بغية الوصول إلى المعنى الحقيقي للنص بعد سبر أغواره و تجاوز تضاريسه وهيكليته الظاهراتية ومن أهم المناهج حديثة الظهور، المنهج السيميائي ويستدعيه الوعي النقدي لإخراجه من حالة الغياب إلى دائرة الحضور في مستوى المعنى والدلالة. ترمي هذه الورقة البحثية إلى معالجة قصيدة «ما لم تقله زرقاء اليمامة» في ضوء السيميائية الجديدة التي تأخذ على عاتقها فك شفرات النص وإزالة ما يمثّل فجوة ومسافة بين النص والمتلقي ومن أهم الأهداف الأساسية التي يتوخى الباحثان الوصول إليها، تأسيس الوعي بشعرية هذا الشاعر وفتح الآفاق الجديدة على الشعر السوداني المعاصر وهكذا دراسة موقف الشاعر من واقع السلوك العربي في عصر الحداثة وما ينجبه في المستقبل من المأساة والويلات. تشير النتائج إلى أنَّ هذه القصيدة طافحة بالرموز والعلامات. القصيدة تزخر بالحضور المعرفي للشخصيات ويستخدم الشاعر الرموز المختلفة للتعبير عن الوضع المأساوي في المستقبل وما يجلب الانتباه هو هيمنة التوجه الاستشرافي للشاعر على القصيدة. يكثر الشاعر فيها من الإشارات التي تقود إلى المستقبل وخاصة اللازمة التكرارية في افتتاحية المقاطع واستخدام الرمز التراثي. تتأتي الفاعلية الجمالية للقصيدة من الانزياحات والعلاقات المؤسسة على المفارقة بين الألفاظ والمفردات ونلحظ في القصيدة الفاعلية العاطفية المنبعثة من الرموز والإشارات النصية التي تكتظ بالمعاني والدلالات والفاعلية الإحالية تتأتى من المزج بين الحاضر والماضي عبر التركيز على حضور الشخصيات التراثية والدلالات والملامح المتعلقة بها التي يستأنسها الوعي الجماعي. نرى الفاعلية الكنائية في التمثيل الشعري للواقع العربي المتردي والمحاولة لفضح هذا الواقع المؤلم والمستقبل السلبي وتعريته من خلال الاستخدام الواعي لطريقة التعبير الحكمي في اللغة الشعرية غير أن القصيدة تخرج عن هذا المسار الدلالي ولا تقف حد تجسيد الواقع المأساوي والمستقبل المأزوم بل تتجه عدسة الكاميرا الشعرية إلى المستقبل المنشود والمثالي والذي يتحقَّق بالوعي والمعرفة والرؤية الجديدة بعيداً عن الجهل والتخلف والعقم المعرفي والفكري.

الكلمات الدليلية: السيميائية. الشعر العربي المعاصر، محمد عبدالباري، قصيدة ما لم تقله زرقاء اليمامة.

تاريخ الوصول: ١٤٠١/٨/٢١ تاريخ المراجعة: ١٤٠١/١٠/٢٣ تاريخ القبول: ١٤٠١/١٢/١٥

[1]- الكاتب المسؤول: hsn_elyasi@ut.ac.ir

١. المقدمة

تعدُّ السيميائية من أهم المناهج الجديدة لمشاكسة النص الشعري والصراع المنهجي معه عبر مجموعة من المكانيزمات والطرق الجديدة من أجل التوغل الواعي في عالم النص وللوصول إلى المعرفة الحقيقية عن النص والوعي باعتبارهما الدافع والأساس في كلّ عمل نقدي ممتاز وتكمن فاعلية السيميائية في دورها الكبير والبارز في تبيان حقيقة النص الشعرى وتقليص دائرة التعددية في الدلالة والمعنى ومن المفروض وجودها في أرض الشعر العربي المعاصر عبر الاعتماد على مجموعة من المنظومات المفهومية والمنهجية التي من شأنه خلق الحالة الدلالية الجديدة وخروج النص إلى مرحلة التجلي والحضور بعد أن كان في غلالات مختلفة من الغموض والغياب نتيجة الانزياح المسيطر على العلاقات اللغوية والمنظومات النصية التي تشكّل هيكلية النص الشعري المعاصر.

السيميائية عند الكثير من الباحثين والمهتمين بهذا الفرع النقدي الجديد الذي يمثّل القفزة الواعية في مجال المعرفة والوعي النقدي، هي العملية الإجرائية الواعية التي تسهم في إنتاج الدلالة وتوجيه المقروئية النصية بحيث تنتج قراءة فاعلة لها محصلات واضحة في ميدان القراءة وهي بالاختصار عند البعض التفاعل المعرفي من خلال المكانيزمات المتعددة مع المقروء (القصيري، ٢٠١٢: ٢٢٥- ٢٢٤). وهذه فاعلية السيميائية الجديدة في فهم النصوص الشعري وتأسيس الوعي بداخله بعد إزالة القشور والمعوقات الدلالية عن ظاهر الرموز والإشارات النصية.

منهج جيرو في السيميائية من المناهج الحديثة في مجال التحليل السيميائي ويحتوي هذا المنهج على مجموعة من المؤشرات الوصفية والمنهجية في تحليل النصوص وخاصة الشعرية منها ناهيك عما يتمتّع به هذا المنهج السيميائي من الخصوصيات المنهجية بالغة الأهمية في تأسيس الوعي بالنصوص الشعرية وهذا هو المنهج المتتبع في هذه الورقة البحثية ونعتمد على هذا المنهج في تحليل شعر محمد عبدالباري وقصيدته «ما لم تفله زرقاء اليمامة» من ديوان «مرثية النار الأولى» والقصيدة التي بين أيدينا تتكون من ١٧ مقطعاً شعرياً يرسم فيها الشاعر مأساة الوطن العربي والإنسان العربي ومن أهم الأهداف المؤملة إليها في هذه المغامرة النقدية هي الوعي بشعر هذا الشاعر المغمور والمواصفات الشعرية وتبيان رؤيته إلى الحاضر السلبي والكشف عن الفاعليات اللغوية والسيميائية للخطاب الشعري عند محمد عبدالباري وما يستدعينا للوقوف النقدي عند شعر عبدالباري ودراسته في ظل السيميائية الجديدة هو أنّ شعر الشاعر يتمتع بالفضاءات الشعرية الجديدة والبكورة تستحق الدراسة والمعالجة المنهجية وبقي الشاعر مغموراً رغم مكانته الممتازة في الشعر المعاصر بحيث أثرى المكتبة الشعرية العربية بالقصائد الفذة الممتازة ورغم هذا لم تتوجه إليها أنظار الباحثين وأقلامهم لدراسة شعره ومعالجته مما تكمن فيه ضرورة هذه الورقة البحثية.

١. ١. أسئلة البحث

من الأسئلة الأساسية التي تمثل الدافع الرئيسي للخوض في غمار هذا البحث العلمي هي: ما أهم خصائص شعر عبدالباري في المستوى اللغوي والدلالي؟ كيف يتجلى الواقع السياسي العربي في شعر الشاعر؟ وما أهم الفعاليات النصية في هذه القصيدة التي بين أيدينا؟

١. ٢. فرضيات البحث

يعتمد محمد عبدالباري على التراث والأحداث التاريخية لرسم الواقع المعيشي وإضفاء الموضوعية على القول والتعبير بلغة

الشعر. يكثر الشاعر من الإشارات التاريخية ليجعل المستقبل في وهج من الشفافية والحضور للمتلقي ونرى في كل شطر لشعره وكل كلمة له النزعة الجمالية والتوق الشديد إلى خلق متعة المتلقي عند المتلقي.

قصيدة مالم تقله زرقاء اليمامة تكتظ بالرموز والإشارات المعرفية المختلفة وبنيت على أرض الماضي ويعتبر الماضي مركز الشاعر لتعرية الواقع والحاضر وتحتوي على مجموعة من الفعاليات اللغوية العديدة والدلالية المتعددة التي نقوم بشرحها وتفصيلها في هذه الورقة البحثية.

١ .٣. منهج البحث

اعتمد هذا البحث على منهج بير جيرو لدراسة قصيدة «مالم تقله زرقاء اليمامة» لمحمد عبدالباري وتمّ انتقاء الشواهد الشعرية التي تتناسب والمحاور المطروحة في هذا الاتجاه السيميائي وثم تمَّ العكوف النقدي عليها بالدراسة والمعالجة والتحليل في هذا البحث تبياناً للسطوح الدلالية العميقة التي يتضمنها هذا الخطاب الشعري والتي لايمكن البلوغ إليها دون الرؤية السيميائية التي تتوغَّل في النص الشعري بغية الوصول إلى الحقيقة النصية.

١ .٤. خلفية البحث

لم يكُن شعر محمد عبدالباري مهبط اهتمام الدارسين ولم يلق شعره في المدوّنة النقدية الحديثة اهتماماً ولم نعثر بعد الجولات الطويلة في المواقع والمجلات إلا على بعض البحوث الضئيلة قامت بمقاربة شعر الشاعر نذكرها شأن كلّ البحوث العلمية التي تلتزم بذكر البحوث السابقة. قدّمت بتول طارق حسن سنة ٢٠١٨ بحثاً إلى عمادة كلية التربية بجامعة القادسية وهو جزءٌ من متطلبات الماجستير والبحث يحمل عنوان: التناص في شعر محمد عبدالباري والبحث مقاربة لأنماط التناص في شعر الشاعر من دون أن يحتوي البحث على الرؤية النقدية الشاملة وهو دراسة عابرة تفتقر إلى الرؤية النقدية العميقة كما لم تطرقت الباحثة الى دراسة فاعلية النصوصية في شعر الشاعر وكتب أحمد الزهراني بحثاً يحمل عنوان «استدعاء التراث في شعر محمد عبدالباري» وهو مشروع بحث للماجستير بجامعة تبوك سنة٢٠١٩ والبحث مقاربة لحضور الرافد التراثي في شعر محمد عبدالباري ودراسة للتمظهر الدلالي للشخصيات التاريخية والأسطورية في شعر الشاعر وبيان دور الشخصيات وتبيان دور الرافد التراثي والشخصيات التراثية تحديداً في التعبير والموضوع غير أنَّ بحثاً مثل هذا البحث مطروق بكثرة ولا يحمل وجهاً من وجوه الفرادة والإبداع وكتبت هدى بنت عبدالرحمن الدريس مقالة عن شعر محمد عبدالباري تحمل عنوان «تجليات الاغتراب في تجربة محمد عبدالباري الشعرية» والمقالة نشرت في مجلة الآداب سنة ٢٠١٩ والعدد ١٢٤وهي مقاربة لتمظهرات الاغتراب الاجتماعي والسياسي في شعر الشاعر وكتب مجدي بن عيد بن علي الأحمدي مقالة معنونة بـ«الصعلكة في العتبات النصية؛ ديوان كأنك لم... أنموذجاً» والمقالة نشرت في مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية سبتمبر ٢٠٢١ وهي دراسة لتمثّلات الرفض والإرادة في شعر محمد عبدالباري ونظرة عابرة إلى العناوين الشعرية للشاعر وكتب مجدي الأحمد مقالة عن شعر الشاعر وهي موسومة بـ«الإرادة وفلسفة التعبير في قصيدة الحمامة لمحمد عبدالباري» والمقالة منشورة في مجلة جرش للبحوث والدراسات ٢٠٢١ والمقالة تحتوي على الفقرات العديدة التي يتحدث فيها الباحث عن موضوع الرفض في شعر الشاعر ونوعية التعبير عنه بالخصائص اللغوية العديدة التي يستخدمها الشاعر في أشعاره والبحوث الآنفة الذكر لم تمتّ بصلة لموضوع هذه الدراسة التي تختلف عن غيرها بأنها تحاول الوقوف عند شعر الشاعر بالتعكُّز على المنهج السيميائي والبحث يعدُّ أوّل محاولة في ضوء السيميائية لدراسة شعر محمد عبدالباري.

٢.الدراسة السيميائية الجديدة

الشعر العربي المعاصر يتطلب قراءة عميقة ومعرفية لبلوغ المعرفة عن حقيقية النص والمقاصد التي تحفها غلالات غموض والتي يجعلها الشاعر العربي المعاصر في الطرق التعبيرية الملتوية والمعقدة مما يجعل حالة من الغبار ومن المسافة في منطقة التلقي وهذا الفضاء الشعري نتيجة لحضور الحلم أو الفضاء المكثّف بالعوامل والتراكمات العديدة التي تبعد النص الشعري من الصراحة والمباشرة وما يستدعيه الشعر العربي المعاصر قراءة واعية منهجية يتمكّن القاريء بالاعتماد عليها من التوغل في عمق النص الشعري وبلوغ المعرفة عنه. المحاولة النقدية المعاصرة والتوجهات النقدية العديدة كانت بمثابة تلبية لهذا الاستدعاء وظهور المناهج والمقاربات الجديدة جاءت بهدف ملامسة النص الشعري والنفاذ إلى العمق النصي للشعر العربي المعاصر ولا يكتفي الوعي النقدي المعاصر بالمقاربة العابرة «ولا تعد المقاربة في الوعي النقدي المعاصر النزهة أو رحلة تقف عند حدود السطح ولا تكتفي به وإنما المقاربة النقدية الجديدة تحاول الغوص في أعماق النص والإزاحة عن المستور من خلال القراءة القائمة على الاستبطان والتأمل والتفاعل مع بنى النص ومعماريته»، (ربابعه، ٢٠١٢: ٢١) وسبر أغوار النص بالرؤية الواعية التي تتوغل في النص.

أخذت السيميائية هذه المهمّة المعرفية على عاتقها واعتمدت على مجموعة من المكانيزمات والطرق التحليلية العديدة لفهم النص والكشف الواعي عن حقيقيته وهويته. السيميائية كانت بمثابة الانطلاقة المهمة في الوعي الإنساني للتعرّف على السياسة النصية التي تحكم التكوين النص الشعري الذي يبنى على الغموض والبحث عن الكيفية النصية و«كيفية إفراز الدلالة عبر مساءلة أشكال المضامين، بسبر أغوار البنيات العميقة دلالة ومنطقاً من أجل فهم تعدد البنى النصية وتفسيرها على مستوى البنية السطحية تركيباً وخطاباً»(حمداوي، ٢٠٢٠: ٦) والسيميائية تمثل لعبة القراءة مقابل لعبة الشعرية ومواجهة التوق الجمالية والنزعة إلى اللامباشرة عند الشاعر لا يمكن إلا بالسيميائية كسلاح لمواجهة النص الشعري وسبر أغواره ومكامنه وتسهم في تنمية الحس النقدي عند المتلقي وتوسيع دائرة وعيه بالنص، فالمتلقي ينظر إليه بعمق أكبر ويلج عالم النص ويتمكن من الوصول إلى البنى العميقة له (فتحي دهكردي وحسيني، ١٤٠٠: ٥٤) من المناهج التي حظيت باهتمام كبير من قبل الباحثين منهج جيرو وفي اتجاهه السيميائي يقوم بدراسة التمفصلات النصية والفعاليات اللغوية «والمفصلات التي تعد مرتكزات التفكيك أو المناطق التي تفكك عندها العلامة إلى عناصر دالة وكلّ دال هو شرط وجود كل وحدة سيميائية» (جيرو، ٢٠١٦: ٣٨). تتمّ في هذا الاتجاه السيميائي دراسة الخاصية الإحالية للغة ودراسة العلاقات النصية للغة التي هي العلاقة التلازمية والتفسيرية للغة مع العالم الخارجي للنص وجيرو في حركته التمفصلية يقوم بدراسة تفكيكية للعلاقات بين الأنساق اللغوية وبين الرموز المستخدمة في النص ويسعى للكشف والإبانة عن المواطن الجمالية للنصوص كما يقوم بدراسة العلاقة بين الدوال وبين المداليل تحت ما يسمى العلاقة التعالقية بين الدال وبين المدلول وإيضاح العلاقات الوجودية والامتدادية بين الدال وبين المدلول الخاص به في النص وفي المستويات الأخرى يقوم جيرو بدراسة التمفصل النصي ذات التوجه والماهية المستقبلية والهوية الإحالية إلى المستقبل.

٣.قصيدة ما لم تقله زرقاء اليمامة

هذه القصيدة من أشهر قصائد محمد عبدالباري في ديوانه الشهير"مرثية النار الأولى" الذي صدر عن دار منتدى المعارف ببيروت سنة ٢٠١٢. هذا الديوان يحتوي على سبع عشرة قصيدة ثورية رافضة للواقع العربي المؤلم والملاحظ في قصائد هذه

المجموعة الشعرية يرى أن العنوان في جميع القصائد يتكوّن من الجملة الاسمية التي تترابط والمعاني والمقاصد كما تتناسب والحالة السلبية العربية والداء المخزي المقيت الذي استمرَّ على مر العصور وما يجلب الانتباه في هذه المجموعة الشعرية هو حضور الرافد التاريخي وحضور التراث بشخصياته وأساطيره في قصائد هذه المجموعة فنرى الشخصيات التاريخية والدينية، مثل أبي ذر الغفاري والحسين عليه السلام وسيف الدولة الحمداني في قصائد هذه المجموعة كما نرى الاستخدام الفني للشخصيات الأسطورية في قصائد هذه المجموعة ونحن نعلم أن الشخصيات بما تمتلك من العمق المعرفي والرصيد الدلالي تسهم في تعميق وجود النص الفني والدلالي (فتحي دهكردي وحسيني، ١٤٠٠: ٥٥) والإنتاج الدلالي. يركّز الشاعر على الشخصيات التراثية بالصورة المفارقية لتعرية الواقع العربي وفضح حكامه المسؤولين عن مستقبل الشعب وأحلامهم. قصيدة مالم تقله زرقاء اليمامة، القصيدة الأولى لهذا الديوان الشعري، اعتمدت على الرافد التاريخي والأسطوري ووظّف الشاعر شخصية زرقاء اليمامة وشخصيات أخرى مثل القرمطي وآدم أبي البشر ليتنبأ بمستقبل مظلم لا تتنزه منه رائحة الحياة والإدامة بل المستقبل والحياة في الشارع العربي كله الكدر وعدم الثقة بالمستقبل وهاجس الموت وهذا هو ما يصير إليه الواقع العربي في ضوء الممارسات المخزية الراهنة. زرقاء في هذه القصيدة هي الشاعر وفي الحقيقية نرى الشاعر يتقمّص داخل هذه الشخصية التاريخية بدلالاتها التي يستأنسها الوعي الجماعي ليحذّر الأمة العربية بالنهاية المؤلمة التي تنتظرهم عند إدامة الحاضر وفي المقاطع الأخيرة يبشّر بالحياة والخلود من خلال استخدام الملامح المرتبطة بنبينا يوسف عليه السلام ويكرّس حقيقية يؤمن بها ومفادها هو أن بلوغ الحياة والإدامة نتيجة طبيعية للحضور الإيجابي والرفض للعوامل المختلفة التي تهدد الحضور العربي ويديم مشروع القتل والاستلاب في الأرض العربية بتاريخها وحضارتها.كما قيل في البداية إن هذه القصيدة مزروعة في أرض الماضي الخصبة وفي الحقيقية نرى الاستخدام الواعي للتراث في هذه القصيدة ومن نماذج الإبداع في هذه القصيدة هو توهّج المخيال الشعري عند استخدام الشخصيات التراثية وفي الحقيقية استخدم الشاعر في هذه القصيدة الشخصيات التراثية الكثيرة واستخدم الأحداث المختلفة وقلّما نلحظ مثل هذا المزج الواعي والاستخدام الفني للتراث في شعر الشعراء المعاصرين.

٤. دراسة شعر محمد عبدالباري في ضوء نظرية بيرجيرو

المعاني والمقاصد في النص الشعري المعاصر مزروعة في أرض من الأشواك والحواجز المختلفة التي تمنع الوصول إلى الحقيقة النصية ومما يضر بفاعلية التلقي ويسبب الوعورة في عملية التلقي هو التوق الشديد للشاعر العربي المعاصر إلى الإبداع وإلى اللاخطابية في التعبير والقصد وتأتي السيميائية بوصفها من مناهج تحليل الخطاب الحديثة لتركّز على فعل الإبداع وتسعى لفتح آفاق النص أمام القاريء بمجموعة من الطرق والمكانيزمات الأساسية وعبر القراءة الجدلية مع النص الشعرية والمآل بعد هذا الحرص الشديد على القراءة والمتابعة بلوغ لحظة التلقي وفاعلية الإبداع المزدوج من قبل المبدع والمتلقي بعد أن يواجه المتلقي عند الصدام مع النص الشعري اللحظة الحرجة التي تتأتى من الانزياحات والطرق التعبيرية المعقدة. بعد عرض دقيق للسيميائية شأن كلّ البحوث المنهجية ندخل في هذه المرحلة في صلب البحث ونميط اللثام عن قصيدة وهي من أشهر قصائد محمد عبدالباري في ضوء السيميائية.

٤ . ١. الفعاليات النصية للقصيدة

الفعالية الإحالية أساس العلاقات في مستوى النص أو في خارجه. هذه الفعالية في مستوى الرموز تحدّد العلاقة الكامنة ما

بين الرسالة والموضوع الذي تحيل إليه الرسالة أو النص وما هو يمثّل الأساس والبؤرة هو التركيب والتنضيد في مستوى المعلومات والاتجاهات الواقعية والموضوعية التي يمكن ترسيخها وإثباتها «والفعاليات الإحالية هي العلاقة الطبيعية والمنطقية بين الرموز والنص والواقع وهي تمثّل الوازع الأساسي الذي يحدُّ من خلط العلامة والشيء والرادع من المزج غير المقصود بين النص وبين الواقع الغامض»(جيرو، ١٣٩٩: ٥٤). والنص بنظامه العلاماتي لابد أن يكون في تعاضد وتلاؤم منطقي مع الواقع والفعالية الإحالية في الحقيقة نجاح النص والرسالة في تصوير الواقع الغامض في منطقة التلقي ووفق هذا المنظور يعد الواقع بإسهامه في خلق التجربة الشعورية المصدر والمنطلق والمآل في العملية الإبداعية والفعالية الإحالية النصية تكمن في المقدرة على خلق الترابط بين النص والواقع أو هي قدرة النص الشعري على تصوير الواقع أو تجسيد المستقبل بالصورة السلبية أو الإيجابية.

إن الفرضية الأساسية في النص الذي يتمتّع بخاصية الفعالية الإحالية هي أن النص يصور الواقع أو المستقبل بالصورة الواضحة وفي شاشة شفافة تضع في مرأى عيوننا صورة موضوعية عن الواقع أو المستقبل. نلحظ الفعالية الإحالية في قصيدة محمد عبدالباري تنهض عن تجسيد المستقبل بالصورة السلبية عبر الاستخدام الواعي لمجموعة من الرموز والإشارات التي تحتوي على الجسر الرابط بين الموضوع وبين الواقع ولايشوبها الخلط الدلالي الذي يحدُّ من الوصول إلى الحقيقة النصية وما يجلب الانتباه في هذه القصيدة هو أن المستقبل تنبعث من الحاضر السلبي وتجسيد المستقبل في صورة سلبية، هو محاولة شعرية من الشاعر لتعرية الواقع العربي المأزوم بفعل غياب الفعل المقاوم من الإنسان العربي أو من السياسيين تحديداً مما يجعل الأرض العربية عرضة للأحداث والنكبات في المستقبل وأوّل المكمن النصي الذي يحتوي على الفعالية الإحالية هو العنوان الذي يتصدَّر المجموعة الشعرية. فالخاصية الإحالية لهذه القصيدة تتأتى من الخيط المعرفي الذي يتجذَّر في ذاكرة المتلقي وهذا الخيط المعرفي يقود إلى الواقع ويشكّل الحالة الالتقائية بين النص والواقع والمتلقي وهذا هو الفعالية الإحالية التي يحتويها العنوان ويمثّل المرجعية للمتلقي، لأنه عبر الركون على المرجعية التاريخية التي يتمسك المتلقي بالدلالات والإيحاءات التي تتنزه عنها ويقود إلى الواقع السلبي وأيضا يبيّن الشاعر عبر العتبات النصية الأخرى الحقيقة التي يؤمن بها الشاعر والشاعر يمثل النموذج الواعي للطبقة المثقفة الذين يرون المخاطر والإشكاليات التي يواجهها المجتمع العربي ويقوم بدوره الفعلي في عملية التحذير والقيام الفاعل ويرى الشاعر ما لا يرى غيره رغم أنهم ينظرون معاً ويحدِّقون في الموطن الواحد والاختلاف يعود إلى اختلاف الوعي بين الشاعر بوصفه من المثقفين الواعين وبين الشرائح الأخرى في المجتمع والشاعر يقوم بدوره التوعوي عبر التقمص في شخصية زرقاء والمصير النهائي له ولأبناء شعبه هو ما يسرده التاريخ ويعرفه المتلقي. يأتي الشعر بمقولة شهيرة من بيروت بعد عنوانه الرئيس: «إنَّهم ينظرون إلى ما أنظر ولكنهم لايرون ما أرى» وهذه المقولة تعزّز دلالات رموز العنوان الرئيس ويكشف الهوية الحقيقية للنص الشعري وعبر الخاصية الإحالية التي تكتنزها الرموز، يقود المتلقي إلى موضوع النص ويحدّد الواقع المتردي المأزوم الذي يرفضه الشاعر كما رفضت زرقاء واقعها في العصر الجاهلي.

٤. ٢. الفعالية العاطفية للرموز الشعرية

التجربة الشعرية في مفهومها الماهوي تعني الارتباط الوثيق بين الشعر وبين التجربة الشعورية والعاطفية ولنقل إن الشعر وليد العاطفة والتجربة الشعورية التي تؤجج فتيل التجربة الشعرية والتجربة الشعرية تحدث عندما تنفجر الأحاسيس والمشاعر إن صحَّ التعبير ولم يكن حضور الشاعر في نصه الشعري أو الانجراف وراء اللحظة الشعرية إلا صرخة داعية إلى

الكشف والإبانة والمعبّرة عن العواطف الشرسة المتفجّرة والتوظيف الواعي للرموز المختلفة في الشعر العربي المعاصر ينطلق من الشعور بالحاجة الأساسية إلى المرتكز الشعري الذي «يتمكّن من البوح بتلك المشاعر والأحاسيس الشرسة الصارمة أو يمتلك الدفق الدلالي والإيحائي والنبض الجمالي»(العلاق، ٢٠١٣: ١١٨). في التعبير عن العواطف والأحاسيس التي تتبلّج في فضاء النص الشعري وقد يؤدي هذا الحضور الواعي للرمز الشعري إلى ملامسة الأحاسيس والعواطف أو المحاولة للإمساك بالمعنى النصي أو روح النص الشعري ولايخفى أن الأحاسيس والعواطف والآراء كلّها تظهر في هيكلية اللغة الشعرية والفعالية العاطفية بوصفه من المحاور الأساسية المطروحة في سيميائية بير جيرو تقودنا إلى حتمية حضور الشاعر والناص في النص الشعري وأيضاً تمثل ردة فعل على التيار النقدي الذي يؤمن بموت المؤلف في نصه الشعري أو حالة الغربة بين النص وبين الشاعر؛ لأن الفعالية العاطفية للغة عند بير جيرو تعني العلاقة الكامنة بين الموضوع والمفهوم وبين المرسل أو حضور المرسل بروحه وعواطفه داخل النص الشعري. العلاقة التي له الحضور المرسخ في العملية الإبداعية وهي لحظة تجلية عواطف المرسل وأحاسيسه وموقفه من الموضوع والمفهوم الذي يسعى لبثّه وانتقاله إلى المتلقي(جيرو، ١٣٩٩: ٥٤). وهذه الأحاسيس والعواطف تبوح بها الرموز المختلفة المعرفية التي يطلُّ بها المتلقي إلى نافذة المعاني والمقاصد وفي هذه القصيدة التي نحن بصدد مقاربتها وفق المنهج السيميائي نلحظ الفعالية العاطفية في حضور الشاعر في المقاطع الشعرية والموقف الرفض والانتماء له في مواجهة الواقع السلبي والمستقبل المشؤوم عند إدامة الحالة الراهنة.

يقول الشاعر في افتتاحية القصيدة: «شيءٌ يُطلُ الآن من هذه الذُرى/ أحتاج دمع الأنبياء/ لكي أرى/التأويل لي/ ما نمت كي أصطاد رؤيا في الكرى/ شجرة من الحدسِ القديم/ هزّزته/ حتى قبضتُ الماء/ حين تبخرا»(عبدالباري، ٢٠١٢: ١٠). ونرى الفعالية العاطفية في تجلية عواطف الشاعر في مواجهة الواقع السلبي وموقفه الرافض لهذا الواقع المقيت والدعوة إلى الرؤية المعرفية الجديدة التي من شأنها إنقاض الإنسان العربي من سلسلة النكبات والأزمات التي تحيط به بالتشكيل الشعري الذي يكشف عن موقفه تجاه الموضوع ويمثّل الشاعر الشخصية الرئيسة في التشكيل السردي لتبيان الحقيقة والقول بالفعالية العاطفية التي هي تعني إبراز عقيدة المرسل وتبيان موقفه ما يتجلي فيما يدعو إليه الشاعر من الوعي وهاجس المستقبل بوصفه الحاجة الأساسية التي يحتاج إليه الإنسان العربي وهذا هو الموقف الذي يسعى الشاعر لترسيخه في الواقع.

الشاعر يحمل وظيفة التأويل وسط دوامة الواقع السلبي المرفوض والتأويل هو فعل المواجهة الواقعية للكشف والإبانة عن موقفه الرافض من الموضوع الذي يسعى لبثّه وانتقاله إلى المتلقي عبر عتبة العنوان الرئيس المشحون بالطاقة الدلالية والمعرفية والواقع الذي يعيش فيه الشاعر والذي يشعر فيه بالاغتراب هو واقع سلبي مأزوم والفعالية العاطفية تكمن في الرؤية الجديدة التي يطرحها الشاعر ويدعو الجماهير للإنتماء إليها. ما يحتاج إليه الشارع العربي في الظروف الراهنة هو الحضور الإيجابي للإنسان العربي في مواجهة سلبية الواقع واشكالياته وأيضاً الرؤية المعرفية والمعالجة التحليلية والمنطقية للخروج من دوامة القهر والخناق والسلب والشاعر يدعو إلى الانتماء الواعي إلى هذه الرؤية الجديدة المنقذة واحتياج الشاعر لدمع الأنبياء من أجل الرؤية يرمز به إلى عدم اتضاح الرؤية وعتمة الوضع في هذا العالم الملىء بالسواد والدمع رمز الصبر والتحمل والبصيرة والذي لا يمكن للإنسان أن يتقن السير في هذا الدرب الجديد دون ذلك»(أحمد، ٢٠١٨: ٦٢)، أو الدمع هو الإرادة الجسامة والتصبر الجميل الذي يزيل عتمة الواقع المعيش والذي يحتاج إليه الشارع العربي لاستتاب الرؤية الجديدة الشفافة والمعرفة والمنطق الجدلي الجديد والمعرفة التي تتجسّد في الماء ويرمز به إلى المعرفة الجديدة التي يقبض عليه الشاعر بعد الرحلة الطويلة والمعاناة وبعد ما تحمل الشاعر من وعورة الطريق وهذه الرؤية المعرفية الجديدة هي ما يحتاج إليها الشارع العربي للخلاص من الأزمة الراهنة أو الأزمة التي يواجهها الإنسان العربي في المستقبل إن لم يقض على سلبيات الواقع الراهن وهذا

ما يكرسه الشاعر عبر الرؤية الاستشرافية وفي المقابل عند مواجهة الواقع السلبي بإشكالياته بالتشبّث الواعي بالرؤية الجديدة والتعمّق في معطيات الواقع الراهن للوصول إلى المستقبل بما فيه من الإشراق والألق والبهجة والدفء ويقول الشاعر في مقطع آخر من القصيدة: «في الموسم الآتي/ مُزادٌ مُعلنٌ/ حتى دم الموتى يُباعُ ويشترى»(عبدالبارى، ٢٠١٢: ١٢) والفعالية العاطفية تكمن في لفظة الموتى وهي في المخزون الجماعي تحمل دلالات القداسة والقيمة والبهاء والشاعر في هذه اللقطة الشعرية يخلق نوعاً من العلاقات المشتركة بينه وبين المتلقي باستخدام لفظة الموتى لتثوير عواطفه ومشاعره في مسعى للنهوض به وبالأمة من أجل التمنع من الغرق في ورطة ذلك المستقبل الذي يراه الشاعر برؤيته المستقبلية ووسيلة الشاعر هي القوة العاطفية الفاعلية للفظة الموتى التي تمثّل الرابط المعرفي بين الشاعر وبين المتلقي وبإمكانها خلق الحالة العاطفية الموحدة بينه وبين المتلقي للنهوض به من أجل الخروج من التقوقع الحالي والحد من المعاناة المغموسة في المستقبل بما فيه من العذاب والخراب وذلك لأن الشاعر في هذه اللقطة الشعرية جعل من الفعالية العاطفية للفظة الموتى ودمهم يباع ويشترى تعبيراً عن ضياع القيم وانحدارها، مادة شعرية شديدة الخصوبة والفاعلية والتأثير وفي الحقيقة استطاع أن يوظف طاقات الفعالية العاطفية للفظة بشكل فني لافت للنظر(القصيري، ٢٠١٢: ٢٢٦) تتمكن من النهوض بعاطفة المتلقي وتثوير مشاعره بغية تغيير الواقع السلبي بما فيه من السلبيات والإشكاليات.

٤. ٣. الفعالية الجمالية

الفعالية الجمالية في هذا الاتجاه السيمائية تعني العلاقات المؤسسة على الانزياح بين الأنماط اللغوية وخلخلة العلاقات بين العناصر اللغوية والشكلية للنص والرؤية السيميائية، تقودنا إلى حقيقة في فكر التأويليين وهي أنَّ المسافة الجمالية وفق ما قال آيزر في النص ليست للابتعاد عن المباشرة والتقريرية فحسب بل هي المنصب الدلالي والمرتكز البنائي الذي يحمل وظيفة الشحن النص بالطاقة الدلالية والإيحائية والمنظومة الإشارية التي تحكمها عادة الانزياحية، تحوّل فعل القراءة إلى الفعل الإبداعي وتكون القراءة لمسة معرفية قادرة على الكشف وعلى الإبداع وفي الحقيقة إنَّ النظام التشكيلي الذي يحتوي على المواطن الجمالية بما فيه من الفتنة والتنافر، يتمكّن من زيادة فاعلية القراءة بدفع المتلقي لسبر أغوار النص بغية كشف البنيات النصية العميقة(شرتح، ٢٠١٢: ٣٩-٣٨) بعد تجاوز البنيات السطحية وهكذا يتحقّق سلطان النص على المتلقي وفاعلية القراءة الواعية التي تصبح اللمسة النهائية للوصول إلى الحقيقة النصية وفي الحقيقة هذه الانزياحية واللغة الشعرية المؤسسة على الانزياح بهدف الجمالية، تزيد من دائرة الدلالات وتحقق شعرية التعبير داخل النص الشعري(طاهري نيا والآخرون، ١٤٠١: ١٠٤). وقد أكثر الشاعر في قصيدته من الأنماط البيانية المختلفة واستخدم الرموز في التشكيل الشعري الجديد وفاعلية الرموز الاستعارية التعينية تتأتى من إسهامها في قوة النص من الجانب الشكلي والدلالي ومثلها نجدها في قوله «الأرض سوفَ تشيخُ/ قبل أوانها/ الموتُ سوف يكون فينا أنهُرا/ ستقولُ ألسنة الذباب قصيدة/ سيرتقي ذئب الجبال منبَرا» (عبدالباري، ٢٠١٢: ١١-١٠).

وجمالية النص الشعري تتأتى من المخيلة الشعرية الحادة التي تجعل الأرض في هيكلية إنسان ويضفي عليها الشاعر من صفات الإنسان ومعطياته مثل الموت والأرض كما يرسمها الشاعر بالاعتماد على تقنية الاستباق الزمني أو التطلع المستقبلي، تسير إلى العقم والضعف نتيجة فقدان الوعي والتخاذل والإحباط والشاعر عبر هذه الصياغة التشكيلية المؤسسة على الاستعارة بالقوة التعينية، إلى جانب إكساء النص الشعري الغلالات الجمالية، يعمّق دلالات النص على حتمية المستقبل السلبي المأزوم الذي يواجهها العالم العربي وما يدعو إلى الدهشة ويباغت المتلقي في هذا التشكيل الشعري هو الاندماجية بين

المفهوم الانتزاعي وبين المفهوم الحسي المتمثّل في الأنهر وخلق العلاقة بين الموت وبين النهر إلى جانب إضفاء الجمالية إلى النص الشعري تصبح بمثابة محاولة شعرية لبثِّ اليقينية وزرعها في نفسية الجماهير بحتمية ضياع المستقبل وفضاء الموت والضياع عند إدامة الحاضر السلبي بما فيه من الضعف والإحباط والخرق في مستوى العلاقات أو الجمود الفكري السائد وتردي القيم في الوطن العربي والنهر يحمل دلالات الاستمرارية والحركة والاتساع والشاعر بالمزج الواعي بين الموت وبين الأنهر وخروج الموت من دائرته المألوفة وتجسيده في صورة النهر، محاولة شعرية من الشاعر لتعميق مأساة المستقبل العربي والمصير المأساوي للإنسان العربي وهذه الحقيقية هي ما يلمسها المتلقي عند قراءة هذا النص الشعري التي يكتظّ بالطاقات الجمالية والإيحائية والفعالية التي يمتلكها النص الشعري عبر لعبة الانزياح والاستعارة التعينية التي تسهم في مراكمة هذا المعنى وتقويته وإظهاره بالصورة الجلية الواضحة ويجعل النص الشعري بمثابة الشاشة التي تبرز الحقائق التي يراها الشاعر بتوجهه الاستشرافي المستقبلي والرؤية القادرة على التنبؤ والكشف والإبانة وفي الصورة الشعرية الأخرى يرسم الشاعر هذا المستقبل المأزوم بقوله: (تقول ألسنة الذباب قصيدة ويرتقي ذئب الجبال المنبرا) والفعالية الجمالية للتشكيل الشعري تتأتى من حضور الذباب في صورة إنسان يقول القصيدة وتزيد دائرة دهشة المتلقي وتتّسع عندما يلحظ في النص أنَّ الذئب يرتقي المنبر والشاعر عبر هذه الصياغة الجمالية يعبّر عن غياب الحضور الفاعل للمثقّف في الظروف الكارثية الراهنة والمثقّف من شأنه القيام بالدور التوعوي والحضور الفاعل في جبهة الشعب والوطن لكنه يتخاذل ويتراجع عن القيام بوظيفته ويخدم الانتهازيين الذين يمتصون دماء الأمة ويحاول لشرعنة الممارسات السلطوية البغيضة .

والشاعر عبر هذا التشكيل الجمالي الذي تحكمها النبرة التهكمية اللاذعة يسخر المثقفين والذين يسعون لإرضاء رغباتهم باسم الدين والذئب هو رمز للأنظمة الحاكمة المتسلطة التي تسيطر على أحلام الناس وجاء حضور الذئب وهو يرتقي المنبر تجسيداً لكل معاني الزيف والخداع وجاء التجسيد الشعري في هذا التشكيل الجمالي المنبنى على قوة المخيلة الشعرية الحادة ليظهر لنا صورة عن المستقبل العربي السلبي بما فيه من الإشكاليات والتقلبات وانقلاب الموازين والقيم مما يجعل المستقبل في وعي الشاعر في دائرة من السؤال والغموض والمستقبل عند إدامة هذا الواقع المتردي ليس إلا مستقبلا مأساوياً نتيجة الزيف والخداع والضعف الذي أصيب به الواقع العربي والمستقبل العربي يطفح بالسؤال والكون العربي موسوم بالغموض كما يرسم الشاعر في هذا التشكيل الشعري الجمالي بقوله «في الموسم الآتي/ ستشتبك الرؤى/ ستزيد أشجار الضباب تجذراً/ سينكِر الأعمى عصاه/ يرتدي/ نظارتين من السراب/ ليبصرا»(عبدالباري، ٢٠١٢: ١٢-١١).

فالزمن المستقبلي عارم بالسلب والشاعر في هذا التشكيل السردي يجسد المستقبل المأزوم في هذا المشهد الشعري بمكوناته الجمالية التعبيرية والحقيقة استثمار المكونات الجمالية والإبداعية وسيلة الشاعر لبلوغ منطقة التفرد في مستوى الشعرية والتعبير، تلك المكونات التي يسيطر عليها الشاعر بقوة مخيلته الفاعلة لتشكّل التحول الدلالي والمجازي الممتاز «لا نجد لها حضوراً إلا في ملكوت الفن فالمكونات اللغوية والرموز الإيحائية التي يصبها الشاعر في المعين الشعري المحدد يحاول باستثمارها لمحاكاة الواقع تخليقاً وليس تسجيلية فوتوغرافية ويبث التشكيل الشعري التفكير في الصور الإبداعية على مستوى الدهشة والانحراف الفريد ويقدر على إثارة الإمتاع الجمالي عند المتلقي»(الشيخ، ٢٠١٢ :٢٨). وشحن النص بالدلالة والإيحاء. الضباب رمز الغموض وإضافة الأشجار بدلالتها المألوفة مثل الاتساع والكثافة تعميق لغموض المستقبل بما فيه من الإشكاليات والتقلبات وفي الحقيقة تعميق لدلالة الصورة الشعرية على الغموض والإبهام ففي هذا المشهد الشعري نلحظ أشجار الضباب تزيد وتشتبك الرؤي وصار الوطن العربي مسرحاً لتصارع الرؤى المختلفة والمزدحمة وفي هذا المستقبل الغامض يتيه الإنسان العربي وتزيد دهشة المتلقي عند الصدام مع هذا التشكيل الشعري عندما يواجه صورة

إنكار الأعمى لعصاه وارتدائه نظارة من السراب والشاعر في تشكيل شعري يبلغ غاية الإبداع والجمالية، يرسم غموض المستقبل العربي وانقلاب الموازين واختلال المفاهيم وضياع الحقيقة وفي هذا المستقبل يشعر الإنسان بنوع من الانفصال الذاتي والقهر الداخلي والشعور بالاغتراب والتيه المسيطر على الإنسان العربي في هذا المستقبل الغامض الموهوم الذي يجسّده الشاعر عبر مجموعة من المكونات اللغوية التي تحكمها فتنة المجاز أو التماثل الدلالي الذي من شأنه تعزيز العلاقات الدلالية مثلما نلحظ في إضافة الأشجار إلى الضباب وهذه الإضافة الواعية يهدف بها الشاعر بلوغ التجلية الدلالية القادرة على البوح والإيحاء بغموض المستقبل وحتمية هذا الغموض والقتامة والضياع وثقل الواقع الغامض على الشاعر مما يخلق في نفسه «الشعور الحاد بالاغتراب الذاتي نتيجة انقلاب الموازين واختلال القيم وتجذر الضبابية وكل ذلك أدّى إلى اتساع الهوة بين الشاعر وبين العالم الواقعي من حوله مما يجعله ينفصل عن الواقع ويرفضه ويغترب غربة زمانية ومكانية أممية» (الدريس، ٢٠١٢: ٥٣٨) النابعة عن الواقع الطافح بالاختلال وفقدان الانسجام وانهيار القيم الحقيقية وما فيه من كثافة الرؤى واختلال الموازين والشاعر يعبّر عن فداحة هذا الوضع المأساوي المستقبل بقوله: حتي دَم الموتى يُباعُ ويُشتَرى(عبدالباري، ٢٠١٢: ١٢). والميت الرمز القداسي وتقديس الميت إرث ثقافي في كل الأمم والشاعر في هذا التشكيل الشعري يعبّر عبر تجسيد بيع الموتى شراءهم إلى حالة من الفضاء المعيشي في المستقبل تنهار فيه القيم الإنسانية النبيلة وهذا السبب في وجود هذه الموجة الصاخبة من التعدي والرفض لهذا المستقبل مما يقود الشاعر إلى حوارية مع يعقوب بحثاً عن سبل الخلاص والاحتواء المستقبل بالرؤية والمعرفة والسعي للقضاء على الأزمات الراهنة التي تسبب الوضع المأساوي في المستقبل.

٤. ٤. التعالقية بين الدال والمدلول والفعالية الكنائية والحكمية

التعالقية تشير إلى العلاقات المكنونة بين الدال وبين المدلول والفرضية الأساسية في هذا الاتجاه السيميائي هي أن العلاقة بين الدال والمدلول ليست علاقة على أساس الصدفة والاعتباطية بل العلاقة بين الدال وبين المدلول علاقة جوهرية وما يربط بين الدال وبين المدلول هو طبيعة كل من الدال والمدلول ولنقل إن العلاقة بين الدال وبين المدلول تكمن في جوهرهما وطبيعتهما (جيرو، ١٣٩٩: ٧٨). يعني أن الدال بطبيعته وخصوصيته يحيل إلى المدلول والعلاقة الدلالية التماثلية هي السبب في المزج بين الاثنين أو المسوغ للاستبدالية في النص والخطاب والدال في هذا المستوى هو المدلول بعينه، لأنه يماثله في الطبيعة والخصوصية والمناسبة بين الاثنين إن كانت مكنونة في جوهر الدال والمدلول فهي تعالقية عند جيرو ويطلق عليه اسم التعالقية الخارجية وفي بعض السياقات التعالقية الداخلية والتماثلية تكون استعارية ومجازية ومثل هذه العلاقة بين الدال والمدلول نلحظها في المواطن الكثيرة من القصيدة والشاعر يستخدم الرموز الإيحائية التي تسوغ التماثلية والاستعارية مثل هذه الاستبدالية في العمل الإبداعي مثلما نرى في لفظة الليل التي يستخدمها الشاعر في قصيدته: «في الموسم الآتي/ آدم/ يأكل تفاحتين/ الليل/ في الخيمة/ قلت/ تلك نبوئتي/ والغيمة الحبلى لن تمطرا»، (عبدالبارى، ٢٠١٢: ١٣). والشاعر في هذا المشهد الشعري بتوجهه الاستشرافي وتطلعه المستقبلي، يوجه شطر الأذهان إلى المستقبل السلبي الذي يضج بالسلب والخطيئة وفقدان المشروع الإنساني الجميل ويعجُّ بالفعل الإدحاضي وفي الموسم الآتي لازمة تكرارية يكثر الشاعر من استخدامها في افتتاحية كلِّ المقاطع الشعرية وتصدر هذه اللازمة التكرارية على البدايات النصية يوحي بشمول الرؤية المستقبلية عند الشاعر يمتع النص بالفعالية الحكمية التي ينصب الاهتمام بها في الاتجاه السيميائي عند جيرو(جيرو،١٣٩٩: ٥٥). وهي العلامات العينية والظاهراتية التي تستخدم لدغدغة المشاعر والأحاسيس وجلب الانتباه إلى المقصود النصي

وهذا يتحقّق في هذه القصيدة بتصدر اللازمة التكرارية على المقاطع الشعرية والتي يتوخى بها الشاعر للوصول إلى فعل التحفيز النصي والإثارة عند المتلقي وفي هذا المشهد نلحظ الشاعر عبر استخدام الرموز الإيحائية، يجسّد ما يؤول إليه المستقبل في الشارع العربي من الضعف والخفوت وفقدان الفاعلية نتيجة فعل الخطاء والإجهاض. من الرموز التي استخدمها الشاعر لتجسيد خفوت فاعلية المكان وسيطرة عوامل السلب والانفصال هي رمز الليل وهو يرمز به إلى القوات الخارجية التي لا تحمل إلى الأرض العربية غير الخراب والشتت والجهض وهذا الرمز في صورته اللكسيمية، تحمل المعاني والدلالات السلبية التي تبوح بخفوت المكان وفقدان الفاعلية واستثمار هذا الرمز الإيحائي معادلاً للقوة الأجنبية التي تسعى للسيطرة على الأرض والوطن، تعميقٌ لدلالات النص وإيحاءاته والمشهد الشعري مشهد صوري ينبني بالأنسنة والتجسيد ويوحي بالرهبة والخوف من المستقبل المأزوم فالإشارة الصريحة إلى المستقبل تزيد من قوة النص الشعري وتزيد دائرة الخوف والرهبة من المستقبل في نفس المتلقي ليشعر في نفسه بنوع من المأساة وليحمل هذا الهاجس والخوف والوحشة من ثقل الزمن في المستقبل فالنص يقوم على الدراما الزمني الفاعل الذي يبيّن حقيقة الزمن المستقبلي وجاءت اسمية الجمل في هذا المشهد الشعري معززة دلالات النص على قتامة المستقبل والثقل الزمني المستقبلي فالنص الشعري يوحي بثقل الزمن والرهبة والخوف والوحشة المسيطرة الشاملة على مستوى التركيب والدلالة وإلى جانب حضور الرموز الموحية التي بينها وبين مدلولها علاقة تعالقية مكنونة فالناحية التركيبية توحي بثقل الزمن المسقبلي «فالمشهد الشعري يتكوّن من مجموعة من الجمل الإسمية الإخبارية التي توحي بالثبوت وتعلن عن حضور زمن ثقيل طافح بالأخطار والخطيئة والوحشة» (فتحي غانم، ٢٠١٤: ٧٠).

وفي المشهد الشعري الآخر ينبش الشاعر المخزون الثقافي والديني ويستحضر شخصية آدم وهو يأكل التفاحتين والتفاحة رمز الخطيئة والتعالقية العلاقة بين التفاح بوصفه الدال المركز في هذا المشهد الشعري وبين مدلولها وهي الخطيئة تتأتى من العلاقة الجوهرية بين هذه اللفظة في الوعي الديني والثقافي وبين معاني الخطيئة واقتراف الذنب والشاعر عبر استخدام هذه اللفظة الإيحائية يرسم تردي القيم الإنسانية النبيلة ورفض الفعل الإنساني الجميل في الوطن العربي وفي المستقبل والعلاقة التعالقية بين التفاحة بوصفها الدال المركزي في هذا المشهد الشعري وبين المدلول، تخلق نوعاً من التفاعل بين النص الشعري وبين المتلقي الذي يمتلك الجسر الرابط بين الواقع النصي وبين الدلالة والمعنى والشاعر في هذا المشهد الشعري يعمّق من دلالات النص على مأساة الإنسان العربي في المستقبل بخلق الخلخلة والمفارقة في جسد الرافد الديني المتمثل في قصة آدم أبي البشر وفي الوعي الديني والثقافي أن الله يغفر لآدم بعد ارتكابه الخطيئة وبعد هبوطه إلى الأرض ويعيده إلى الجنة غير أن آدم بعد ارتكابه الخطيئة في هذا المشهد الشعري ذنبه لن يغفر وخطيئة الإنسان العربي في المستقبل غير قابلة للغفران والشاعر عبر الإشارة إلى عدم غفران خطيئة آدم في المستقبل يعمِّق مأساة الإنسان العربي في المستقبل فالأرض عند الشاعر تصبح جحيم الإنسان في المستقبل والجحيم عقاب على الخطيئة والشاعر بتجسيد عدم غفران الخطيئة يقود إلى ثبوت الجحيم واستقرارها والمستقبل يصبح بمثابة جحيم للإنسان العربي، لأنّه يتسم بغياب الانسجام والتوازن وفقدان الأمن الروحي (البستاني، ٢٠١٦ :٨٢-٨١).

وتسيطر عليه الخلخلة والاضطراب وانقلاب الموازين والغيمة في المشهد الشعري من الرموز الإيحائية الأخرى التي وظَّفها الشاعر في هذا المشهد وهي رمز البشارة والخصب غير أن هذه الغيمة الحبلى لن تمطر في المستقبل ولا تتمكن من حمل البشارة إلى البشر رغم أن الغيمة حبلى ولكنها لن تمطر وهذا ما يزيد المتلقي دهشة عند الصدام مع هذا النص الشعري وهذا الرمز الشعري في صورته اللكسيمية دال على معاني الخير والبشارة والأمل والعلاقة التعالقية بين الدال والمدلول مستمرة في

هذا المشهد الشعري وبين الطرفين فالغيمة في ظاهرها العلاماتي تحمل دلالات الخير والخصب والأمل والحلم وتعالقية العلاقات بين الغيمة وبين هذه المداليل واضحة والشاعر بتجسيد انتفاء نزول المطر من الغيمة الحبلى، يرسم القحط والجدب وليس المقصود من هذا القحط والجدب هو جدب الواقع وجمود الأرض بل الجمود الفكري الذي يحيط الإنسان العربي في المستقبل والفكر العربي وفق هذا المشهد الشعري الذي لايتّسم بالفاعلية والخصب والحركية ونتيجة هذا الجمود الفكري والعقم المعرفي الذي يشير إليه الشاعر بتجسيد عقم الغيمة الحبلى هو مأساة المستقبل العربي يفصح عنها النص الشعري باستخدام الرموز المعرفية المختلفة وهذه المأساة من معطيات النضوب الفكري والعقم المعرفي وهيمنة الخطيئة على القيم الإنسانية النبيلة.

٤. ٥. تعددية الدلالة وتأرجح المعنى

إنَّ الرمز الواحد لا يستكين على الدلالة الواحدة ولا يقع في التقوقعية في الدلالة بل الرمز الواحد يحمل المعاني المختلفة حسب السياق الذي يستخدم فيه الرمز والسياق هو الذي يحدّد المعنى والسيطرة في علم الدلالة للسياق حسب ما يقول بول ريكور في كتاباته السيميائية هو الذي يقود المتلقي إلى المعنى المقصود عند مواجهة فسيفساء السيميائي للنص ويرى جيرو أن الرموز الفنية والشعرية تصطبغ عادة بصفة التعددية في الدلالة(جيرو، ١٣٩٩: ٧٩)، لأن العلاقة بين هذه الرموز ومدلولاتها تبتني على الضعف والتشظي مما يعني أن الدلالة الواحدة لاتتمكن من فرض الهيمنة على الرمز ولاتكون الدلالة هي التامة المنقضية ولانلحظ العلاقة المترابطة حد التقمص بين الرمز وبين الدلالة الواحدة ويرى أن التنامي الدلالي هو الصفة الحقيقية للرمز في الكون النصي ومثل هذه التعددية في الدلالة نلحظها في قصيدة ما لم تقله زرقاء لمحمد عبدالباري.

إنَّ الدال اللوني في الليل والظلام عنوان على السلطة وعوامل السلب والانفصال كما تبين عند معالجة التعالقية بين الدال والمدلول وهذا الرمز والدال اللوني موسوم بصفة التعددية الدلالية وفي السياق الشعري الآخر يحمل الدلالات الجديدة. إنَّ الشاعر عندما يخاطب يعقوب ويكشف عن عقم الواقع العربي في ارتياد منه للحل والوصول إلى طريقة للخلاص ويعقوب يدعو الشاعر إلى التشبّث الواعي بالرفض والمواجهة: «قالَ: اتَّخذ هذا الظلاَم/ خريطةً/ لا تَبتَئِس / فالبئر يومٌ واحدٌ/ وغداً تؤمّركَ الرياح على القُرى/ اكشف لإخوتك الطريق/ ليدخلوا/ من ألف باب/ إن أرادوا خيرا (عبدالباري، ٢٠١٢: ١٤- ١٣).

استخدم الشاعر في هذه القصيدة آلية الكاميرا الشعرية ويسرد الشاعر عبر استخدام التصوير واللقطة التصويرية الواقع والمستقبل في أرض الماضي وبالروافد الدينية والتراثية والتاريخية وأيضاً استخدم الشاعر في اللقطات السابقة الرموز المختلفة وبتوجهه الاستشرافي قام بفعل التحذير والتنبه وقام بالكشف والتنبؤ وفي هذا المشهد الشعري تتجه عدسة الكاميرا الشعرية نحو الشخصية الساردة ويسرد المشهد الحواري بين الشاعر بوصفه الشخصية الرئيسة وبين يعقوب وتعددية الدلالة حصلت بخروج الدال اللوني من دلالته المألوفة إلى دلالة أخرى إيجابية والظلام الذي يدعو إليه يعقوب في هذا المشهد الحواري هو المصدر الحقيقي للوصول إلى النقاء الروحي والمعرفة، والظلام يمثّل الرمز القداسي، والدعوة إلى الظلام في الحقيقة دعوة إلى الانتماء إلى حالة من الانطوائية الإيجابية تحصل بها المعرفة الحقيقية دون حضور الهواجس المختلفة التي تعتري الشخصية الرئيسة عند الضوء والحقيقة التي يسعى الشاعر للهروب منها هي محدودية فضاء الوعي أمام شمولية النور الذي يفضح السلبيات وفقدان الانسجام والتوازن مما يؤدي إلى زرع الهواجس المستمرة في وجود الشاعر ولهذا يدعو يعقوب في هذا المشهد الحواري إلى اللجوء إلى الظلام بوصفه القوة الكونية التي تمدُّ الشاعر بالعون لبلوغ المعرفة والوعي فالليل

رديف للمعرفة والحلم وفي الحقيقة يدعو يعقوب إلى الإمساك بفسحة الظلام بعيداً عن ضوضاء النور والضوء لبلوغ الرؤية والمعرفة والحرية الروحية بعيداً عن المادة وبعد الوصول إليها يتمكّن الشاعر لفتح الطريق أمام إخوته.

ومن الرموز الأخرى التي تتسم بحرية التعددية في الدلالة رمز الريح واستخدم الشاعر هذا الرمز المغلف بالدلالة والإيحاء للتعبير عن المعاني المختلفة وفي هذا المشهد الشعري يستخدم الشاعر رمز الريح للتعبير عن ظهور إرهاصات الثورة والخلاص بعد بلوغ المعرفة والوعي والرؤية الجديدة الجامحة التي تحقق لحظة النشوة الدرامية للشاعر وإخوته والشاعر بتجسيد حالة حضور الرياح ودعوة الشاعر إلى القرى وفتح الطريق بعد تجاوز ما في الواقع من الغموض والمخاطر كلها دعوة إلى البحث عن الرؤية والمعرفة الجديدة بوصفها الطريقة لإنجاز الحلم وبلوغ الاتساع والانفتاح المتمثل في الدخول من كلِّ الأبواب. فيوسف العصر يخرج من بئره ومكوثه في البئر لا يتعدى يوماً واحداً لأنه يقبض على جمرة المعرفة ويحصل على الرؤية الجديدة والحرية الروحية المتمثلة في الريح التي يستخدمها الشاعر انطلاقاً من الوعي بالتعددية في الدلالة علامة على ارهاصات الثورة والخلاص ورمزاً للحرية الروحية.

فالرؤية الجديدة التي ينادي بها يعقوب هي الرؤية الجديدة المشتركة القادرة على الإنجاز والخلاص والحقيقة هي أن اختلاف الرؤية واشتباك الرؤى هو السبب في هذا الوضع المأساوي ويرى يعقوب أن حضور الرؤية المشتركة هو الذي يطهِّر العالم الداخلي والخارجي للإنسان العربي وللوطن العربي معا وهذا ما ينادي به يعقوب في هذا المشهد الحواري وقال الشاعر في مشهد شعري آخر: «شيءٌ/ يُطلُّ الآن من هذه الذُرى/ أحتاجُ دمعَ الأنبياءِ / لكي أرى» (عبدالباري، ٢٠١٢: ٩). وفي هذا النص الشعري يشيد الشاعر بحضور الصفاء والنقاء الداخلي والخارجي للإنسان وللشارع العربي وسبيل الوصول إلى هذه الحالة هو حضور حالة من الهاجس الإيجابي عند الإنسان العربي. يستخدم الشاعر للتعبير عن حاجة الإنسان إلى هذا الهاجس رمز الدمع وهذه اللفظة في صورته الظاهراتي تعبير عن حالات العذاب والمعاناة غير أنَّ الشاعر يستخدم هذه اللفظة معادلاً للهاجس الإيجابي الموجود في نفسية الإنسان المعاصر مما تحصل به حتمية الصفاء والنقاء الداخلي والخارجي ومما يدفع الإنسان المعاصر إلى المحاولة الحثيثة لتجاوز الواقع الموهوم المليء بالتعقيد والالتواء والنتيجة الطبيعية والحتمية لسيطرة الهاجس الإنساني الإيجابي الذي يعمل كالقوة الفاعلية عند الإنسان المعاصر، هي الرؤية الشفافة وبلوغ الصفاء والنقاء بعد تجاوز الواقع السلبي بما فيه من الغموض والتعقيد.

٤. ٦. الرموز المعرفية في القصيدة

يرتبط البعد المعرفي للنظام العلاماتي بالشخصيات والملامح والمواصفات التي تتعلق بالشخصية تحمل الدلالات المعرفية وتؤسس الوعي بالهويات وبتعبير آخر أن وعي المتلقي بهوية الشخصيات والسلوك المرتبط بالشخصيات التراثية، والتراثية بما تمتلكه من الدلالات الخصبة التي تمثل الجسر الرابط بين النص وبين المتلقي والخزين المعرفي بالشخصيات في هذا المستوى عند المتلقي يؤدي إلى تفاعل المتلقي مع النص الشعري و«القصيدة في صلتها بالمتلقي، تخفي لكثير من التفاصيل ولاتكون هي نابضة بالدلالات الصريحة والواضحة بل تنزع القصيدة الشعرية إلى اللامباشرة في التعبير وتلفُّها الغلالات المختلفة والمعقدة من الغموض» (العلاق، ٢٠١٦: ٦٥). وجدلية القراءة بين المتلقي والنص أمر محتوم في القصيدة الشعرية بحيث تنزع إلى مراوغة المعنى والتجسيد المتلبس له مما يدفع بالقصيدة إلى توترها الدلالي الغائم (العلاق، ٢٠١٤: ١٨). ويصبح العمل الشعري مغامرة جمالية غير أنَّ هذه الجدلية في بعض الأحيان تفقد ضراوتها والشاعر في عمله الإبداعي لأجل خلق حالة التفاعل النصي يلبي احتياجات التلقي ويستخدم الكثير من الآليات والمكانيزمات

والرموز المختلفة التي تخلق التفاعل بين النص والمتلقي وينتهي بها الفصل الدلالي وفجوة التلقي بين النص وبين المتلقي والشخصيات التراثية والرموز ذات المرجعية التاريخية بوصفها من المرتكزات الأساسية في العمل الإبداعي، تتمكّن من تقليص ثقل النص الشعري على المتلقي؛ لأنَ خزينه المعرّفي يزيل وعورة التلقي ويقبض به المتلقي على المعاني النصية وانطلاقاً من وعي الشاعر بهذه الوظيفة الدلالية للشخصيات والرموز التراثية، أكثر الشاعر في قصيدته من استخدام الشخصيات التراثية مثل شخصية الشنفرى ويوسف ونوح والقرمطي يستلهم الشاعر في هذه القصيدة حكاية الطوفان المرتبطة بسيدنا نوح للتعبير عن النهاية الكارثية للأمة في المستقبل. إن الطوفان في الشعر العربي المعاصر يرمز بشكل واضح إلى بداية جديدة للحياة على الأرض ورمز الانتصار وبداية إنقاذ حفنة نيرة من البشرية من شرور حفنة من الظالمين والكافرين، ولكن الشاعر حوّل دلالة الطوفان إلى دلالة أخرى تماماً وهي دلالة الهدم والخراب والفزع (رضوان، ٢٠١٨: ٣١). يقول الشاعر في هذه القصيدة:«لاسرَّ/ فانوس النبوؤة قال لي/ ماذا يجري/ سيعبُرُ الطوفانُ من أوطاننا/ مَن يقنَع الطوفان/ أن لايَعبرا» (عبدالبارى، ٢٠١٢: ١١). ويستحضر الشاعر حدث الطوفان لسيدنا نوح ليوجه خطاباً مليئاً بالتحذير والرهبة إلى الذين ينثالون وراء التهويمات الخيالية والوهمية وإلى الذين لايعيرون اهتماماً بمواقفه التحذيرية القائمة على الكشف والتنبؤ كما اتهم قوم زرقاء عينيها بالبوار ونتيجة هذا الفعل هي اجتياح الطوفان على البلدان العربية «وهذا الطوفان هو طوفان جديد وهو طوفان الجهل والتخاذل وموت الضمير» (المجالى، ٢٠٠٩: ٦١).

وطوفان النزعة الجارفة إلى المادية البغيضة التي تسبب انهيار الإنسان والمجتمع والشاعر استلهم من هذه الحكاية الدينية والتراثية من النص القرآني والمتلقي يمتلك الخزين المعرفي بالطوفان والحدث مما يقوده إلى المعاني والمقصود النصي الذي هو الرسم الشعري للنهاية المأساوية للأمة التي يجتاحها الطوفان المدمّر وفي مشهد شعري آخر استحضر الشاعر شخصية الشنفرى ورسم حضور هذه الشخصية في المستقبل: «سيرى لقبيلة وهي تصلبُ/ عبدَها/ فـ«الأزد» مازالت تخاف الشنفرى»(عبدالباري، ٢٠١٢: ١٢). وهذه الشخصية رمز للرفض والتمرّد كما يألفها الخزين الثقافي للمتلقي ووعيه المعرفي ويعكس الشاعر أن المستقبل العربي ستصيبه حالة من التمرّد غير أن هذا التمرد المتمثّل في شخصية الشنفرى لايكون رديفاً للثورة أو تمهيداً لها أو هو النسق السلوكي الاجتماعي الذي يسبب خلق الثورة والخروج من الحالة السلبية إلى الحالة الإيجابية بل هذا التمرّد نمط من أنماط التمرّد السلبي يحيط بالمجتمع العربي في المستقبل وهذا التمرّد في نوعه تمرد على المجتمع بما فيه من القيم وتمرّد على كلِّ الأشكال القداسية والظواهر المقدسة مما يجعل المجتمع في حالة من التفسخ والشتّت.

والشاعر في هذا المشهد الشعري يستحضر شخصية الشنفرى علماً بكينونة الوعي الثقافي والخزين المعرفي عند المتلقي بهذه الشخصية ومواصفاتها وخصائصها والسياق النصي هو الذي يحدد نوعية التمرد المتمثّل في شخصية الشنفرى. والقرمطي شخصية أخرى من الشخصيات التراثية يستحضرها الشاعر في هذه القصيدة: «فوضى....وتنبأ كل من مرت بهم/ سيعود سيف القرمطي ليثأرا» (المصدر نفسه:١١). والشاعر بتوجهه الاستشرافي يرى أن القرمطي بسيفه يعود إلى البلدان العربية. «هذه الشخصية هو مؤسس القرامطة وظهرت هذه الفئة في العصر العباسي وكانوا يضمرون الكره للخلافة والمسلمين وأرادوا التعدي على الكعبة الشريفة وقام القرمطي بهدم البصرة بالعراق وأحرق جامعها» (بوفحتة، ٢٠١٨: ٦٣).

ويستحضر الشاعر في هذا المشهد الشعري شخصية القرمطي ويرسم عودة السيف القرمطي للتعبير عن ظهور الفوضى في المستقبل وفعل الانتهاك وضياع الثقافة والحضارة في المستقبل نتيجة هيمنة الإيدئولوجيا القرمطية على المجتمع وظهور الفوضى السياسية والإجتماعية والثقافية والقرامطة كانوا أعداء الثقافة والحضارة وكانوا يحرقون المجامع والمكاتب والشاعر

باستخدام هذه الشخصية واستحضارها يقود إلى حتمية ضياع المستقبل والثقافة والحضارة بقوة عوامل السلب والانفصال والشخصية بما تمتلكه من الدلالات والسلبيات ترمي المتلقي إلى هذه الأجواء السلبية من الحضارة والثقافة ويرسم المشهد حالة من التضاؤل الثقافي والحضاري تحدث بفعل نسف عوامل السلب والانفصال لكلِّ المكونات الثقافية والحضارية للمجتمع العربي.

٤. ٧. التوجه المستقبلي والاستشرافي

يرى جيرو أن النصوص ونظامها التشكيلي والإشاري تحمل الوظيفة التأسيسية ويقوم بالدور التوليدي للمجتمع المثالي

والرموز من أهم مقومات الناص أو الشاعر في رسم مشاهد من هذا المستقبل المنشود ويرى أن الرؤية في العمل الإبداعي ليست الواقعية والتقليدية فحسب بل تكون الرؤية داخل النص الإبداعي الرؤية التطلعية التي تجسّد المستقبل المثالي المنشود والرموز هي الجسر الرابط بين الواقع والمستقبل المنشود وفي الحقيقة يقوم المستقبل المثالي على أنقاض الواقع والنص في صيرورته وتكوينه يجسّد العالمين المختلفين: عالم الواقع والمستقبل الخيالي المنشود (جيرو، ١٣٩٩:١٢٨).

إنّ الشعر فن ممارسة الحياة وليس الشعر وسيلة الشاعر المعاصر لزرع اليأس في نفوس جماهيره ورغم أن الرؤية الواقعية تطغى مسحتها على صفحة الشعر العربي المعاصر ويعكس الشعر الواقع بما فيه من السلبيات والإشكاليات ولكنه ليس برمته صفحة سوداء مظلمة تعبّر عن الويل ومأساة الإنسان وعلى العكس يسعى الشاعر انطلاقاً من وعيه الشديد بوظيفته ورؤيته الملتزمة، لزرع الأمل وإعادة الحلم الجميل إلى الجماهير وبالاختصار ليس الشعر تجسيداً عن انكسار الإنسان في الحاضر أو المستقبل ولا تكون الرؤية الشعرية هي الرؤية المأزقية البحتة بل يقوم الشاعر بسرد مشاهد من المستقبل المنشود في أشعاره ليخلق متنفساً للمتلقي وسط دوامة الضياع والانكسار والتزم عبدالباري في شعريته بهذا المنهج ورغم تجسيده الشعري للمستقبل المأساوي لكنه عبر استخدامه الواعي لمجموعة من الرموز والإشارات يوجه الانتباه إلى المستقبل المنشود المثالي الذي يتحقّق فيه الحلم الإنساني الجميل ونلحظ المفارقة بين المستقبلين في هذه القصيدة؛ المستقبل المأساوي وهو مدلول للعوامل والتراكمات العديدة والمستقبل المنشود وهو حصيل النهوض الواعي في المستوى الفردي والجماعي والثقافي والحضاري ويتحقّق هذا المستقبل المنشود ببلوغ الهوية العربية الحقيقية والاستنهاض الحقيقي والتشبّث بالمعرفة والرؤية الجديدة وهيمنة البعد الروحاني والشاعر يرسم هذا المستقبل المنشود بتوظيف الرمز المعرفي الذي يحمل دلالات الحياة الجديدة المنشودة ويبشِّر بالخير والحلم والأمل. يقول الشاعر في المقطع الأخير من قصيدته:سَبعٌ عجافٌ/فاضبِطوا أنفاسَكُم/من بَعدِها التاريخُ يَرجعُ أخضَرا/هي تلك قافلةُ البَشيرِ/تلوحُ لي/مُدوا خِيامَ القلبِ/أشتُمُ رائِحةَ القَميصِ/وطالَما/هَطَلَ القَميصُ على العُيونِ وبَشَّرا(عبدالباري، ٢٠١٢: ١٥-١٤).

والشاعر في هذا المشهد الشعري يستحضر قصة يوسف للتعبير عن المستقبل المنشود ولبثِّ اليقينية بإشارات الحياة الجديدة والسبع العجاف عنوان على الحالة المعيشية الموسومة بالعقم والضياع والانحطاط ولفظة القميص تبشِّر بالخروج من هذه الحالة السلبية والقميص وسيلة علاجية من وسائل إزاحة الحزن ونجد في القميص الفاعلية التي يتمكّن من خلالها الانتقال من الحالة السلبية إلى الإيجابية فهو يكتنز قوة فعلية مغيرة تتمثّل في الانتقال من حال إلى حال (محمود عبدالله، ٢٠١٢: ٥٣).

والدال اللوني المتمثّل في الأخضر يعزّز من دلالات القميص على احتواء الحياة الجديدة وبلوغ اللحظة المعيشية العارمة بالحياة والبهجة والبشارة في المستقبل فاللون الأخضر يرمز إلى الزمن الإيجابي يقابله الأسود الذي يرمز إلى التشاؤم والزمن

السالبي (ربابعه، ٢٠١٢: ٧٨). وهذا الدال اللوني يعزّز من دلالات القميص في بوحها بالحياة الجديدة والمستقبل المثالي والقميص هو البؤرة الدلالية التفاؤلية توحي بأن الحياة تعود إلى الأرض العربية والتاريخ العارم بالفاعلية تعود والمواطن العربي يتمكن من أن يشتم رائحة الحياة في المستقبل بالقضاء على الحالة السلبية والانتقال إلى الحالة الإيجابية ببلوغ الوعي والمعرفة والرؤية الجديدة التي تصارع الضعف والموت وتمارس مشروع الحياة في الأرض والوطن المتألق حضارياً وثقافياً ومعرفياً ويقول الشاعر في مقطع آخر: لا تبتئس/فالبِئرُ يومٌ واحدٌ/وغداً تؤمركُ الرياحُ على القرى (عبدالباري، ٢٠١٢: ١٣). ونلحظ التوجه الاستشرافي للمستقبل في هذا المقطع الشعري والبئر من الرموز المعرفية في شعر الشاعر وهذا الرمز له العلاقة التعالقية بينه وبين المدلول والشاعر عبر استخدام هذا الرمز بما يمتلكه من الرصيد المعرفي عند المتلقي، «يرى فيه معادلاً للوطن العربي وغربته الداخلية بما فيه من العذاب والمأساة ووطنه في بئر موحشة عرضة للهلاك والموت»(الخليل، ٢٠١٢: ١٠٢) غير أن هذه الظروف لا تدوم ويرى الشاعر التغيير في مجرى الأحداث ورغم العذابات والمعاناة والمأساة تقود إليها البئر في علاقة تعالقية بينها وبين المدلول يرى الشاعر التغيير في مجرى الأحداث وخروج الوطن العربي من البئر.

النتيجة

النظام التشكيلي للشعر العربي المعاصر بني على الغموض والابتعاد عن الخطابية وهذه هي الخصوصية الحقيقية التي يلتزمها الشاعر المعاصر في عمله الإبداعي وفي الحقيقية هناك الحواجز النصية والمسافات الجمالية الكثيرة بين النص الشعري وبين المتلقي وهذه المسافة الجمالية تخلق الدهشة والاغتراب في منطقة التلقي والخطاب الشعري عند محمد عبدالباري ينزع شديد النزوع إلى الاستخدام المنهجي الواعي للروافد التراثية والدينية والإكثار من الآليات والطرق التعبيرية والرموز التي تخلق حالة من الفجوة والمسافة بين النص الشعري وبين المتلقي ويستخدم اللغة ويحرص شديد الحرص على الفعاليات المختلفة التي تمتلكها اللغة الشعرية بخصائصها السيميائية والمكونات الإبداعية والخاصية الإحالية في شعر عبدالباري تتجلّى بحضور الواقع في المنطقة الشعرية وكون اللغة الشعرية جسراً رابطاً بين الموضوع وبين الواقع المتردي الذي يحرص الشاعر على خلق الوعي بالواقع والتأسيس به عند المتلقي أو المستقبل المأساوي الذي يكتسح فيه طوفان الجهل وتخلف العالم العربي والأمة برمتها والخاصية الجمالية تتأتى من غلالات الغموض التي تحفُّ بالتشكيل الشعري ومن أهم خصائص شعر عبدالباري تعددية الدلالة وفي الحقيقية الرمز الشعري عند عبدالباري لايقع في التقوقعية الدلالية والسكون الإشاري بل الرمز الشعري الواحد يحمل الدلالات المختلفة ووجه الإبداع الشعري عند الشاعر يكمن في مقدرته على خلق العلاقة بين الرمز وبين السياقات المختلفة والشاعر إلى جانب التجسيد الشعري للواقع السحيق المأزوم والمستقبل الكارثي والمأساوي يقوم عبر استخدام الرموز المختلفة ذات التوجه المستقبلي، بتجسيد المستقبل المثالي والمنشود والقميص واحد من هذه الرموز ذات التطلع المستقبلي يستخدمه الشاعر في هذه القصيدة ليجسد عبر هذا الرمز الشعري المسقبل المثالي الذي ينزع فيه الحزن والهم عن وجه الإنسان العربي كما أزال قميص الحزن عن وجه يعقوب وأعاد إليه الرؤية والبصيرة ويرى أن صيرورة المستقبل المأساوي إلى المستقبل المثالي المنشود تتحقق بالوعي والرؤية الجديدة والقضاء على السلبيات والتخلف والجهل.

المصادر والمراجع

١. البستاني، بشرى .(٢٠١٤). **وحدة الإبداع وحوارية الفنون**. ط١. عمان: دارفضاءات.

٢. جيرو، بير.(٢٠١٦). **السيميائيات: دراسة الأنساق السيميائية غير اللغوية**. ترجمة منذر عياشي. دمشق: دارنينوى للنشر والتوزيع.

٣. _____ .(١٣٩٩). **السيميائية**. ترجمة: محمد نبوي. طهران: آگه.

٤. الخليل، سمير .(٢٠١٢). **علاقات الحضور والغياب في شعرية النص الأدبي**. ط١. دمشق: دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع.

٥. ربابعة، موسى .(٢٠١٢). **آليات التأويل السيميائي**. الكويت: مكتبة الآفاق.

٦. رضوان، محمد .(٢٠٠١). **مملكة الجحيم: دراسة في الشعر العربي المعاصر**. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

٧. شرتح، عصام .(٢٠١٢). **الجديد في تجربة بشرى الابداعية**. عمان: دارفضاءات.

٨. عبدالباري، محمد .(٢٠١٢). **مرثية النار الأولى**. ط١. لبنان: منتدى المعارف.

٩. العلاق، علي جعفر .(٢٠١٤). **في حداثة النص الشعري**. عمان: دار فضاءات.

١٠. _____.(٢٠١٧). **الشعر والتلقي**. عمان: دار فضاءات.

١١. فتحي غانم، فاتن.(٢٠١٦). **تداخل الفنون في الخطاب النسوي؛ شعر بشرى البستاني أنموذجا**. دار فضاءات للنشر والتوزيع.

١٢. الدريس، هدى عبدالرحمن .(٢٠١٢). «تجليات الاغتراب في تجربة محمد عبدالباري». مجلة الآداب. المملكة العربية السعودية. سنة الرابعة. العدد٤. صص ٥٧٠-٥٣٩.

١٣. طاهري نيا، علي باقر، الياسي، حسين واعرجي، فاطمة.(١٤٠٠). «قراءة السطوح إلى قراءة دلالات الأعماق،مقاربة تأويلية لقصيدة أغنية الممالك الضائعة» اللغة العربية وآدابها. السنة الثالثة عشرة. العدد١. صص٨٩- ١٠٨. Doi:10.22067/jallv13.i1.76832

١٤. فتحي دهكردي، صادق و حسيني، سكينة. (١٤٠٠). «التحليل السيميائي للشخصيات في شعر محمد الفيتوري المقاوم (الشخصيات السياسية والتراثية والأدبية نموذجاً)». اللغة العربية وآدابها. السنة الثالثة عشرة. العدد١. صص ٥١- ٧٢. Doi:10.22067/jallv13.i1.65995

١٥. أحمد، بوفحتة.(٢٠١٨). التناص والرمز في شعر محمد عبدالباري. ديوان مرثية النار الأولى. أنموذجاً. رسالة الماجستير في الغة والأدب العربي. جامعة محمد الصديق بن يحيى : الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

١٦. المجالي، حسن(٢٠٠١). أثر القصة القرآنية في الشعر العربي المعاصر. أطروحة الدكتوراه. الجامعة الأردنية للدراسات العلياء.

References

Abdel Bari, M .(2012). *The Elegy of the First Fire*. 1st Edition, Lebanon: Al-Marefa Forum [In Arabic].

Ahmed, B. (2018). Intertextuality and Symbolism in the Poetry of Muhammad Abd al-Bari. Diwan of the First Elegy of Fire .as a model, Master Thesi. *University of Muhammad al-Siddiq Ibn Yahya :People's Democratic Republic of Algeria* [In Arabic].

Al-Alaq, A. J. (2014). *In the modernity of the poetic text*. Amman: Dar Faza'at [In Arabic].

----------.(2017). *Poetry and Reception*. Amman: Dar Faza'at [In Arabic].

Al-Bustani, B .(2014). *Unity of Creativity and Dialogue of Arts*. 1st Edition Amman: Dar Fada'at. [In Arabic].

Al-Drees, H. A.R .(2012). Manifestations of Alienation in the Experience of Muhammad Abd al-Bari, *Journal of Arts. Kingdom of Saudi Arabia*.4(4). 570-539[In Arabic].

Al-Majali, H .(2001). *The Impact of the Qur'anic Story on Contemporary Arabic Poetry*. PhD thesis. Jordan University for Graduate Studies[In Arabic].

Al-Qusiri, F .(2012). The Semimism of Sadness: A Scholarly Approach in the Experience of Muhammad Mardan. within Muhammad Saber Obeid's book: The Poetic Universe Space from Formation to Demonstration. Damascus: Dar Neinavi [In Arabic].

Fathi Dehkardi, S and Hosseini, S. (2022). "Semiotic analysis of personalities in the poetry of Muhammad al-Fitouri, the resistance (political, heritage and literary personalities as a model*)." Arabic language and literature*.13(1). 51-72. [In Arabic]. Doi:10.22067/jallv13.i1.65995.

Fathi Ghanem, F .(2016). The intertwining of arts in the feminist discourse; Bushra Al-Bustani's poetry as a model. Dar Al-Faza'at for publication and distribution[In Arabic].

Jiro, B. (2016). *Semiotics: The Study of Non-Linguistic Semiotic Forms*, translated by Munther Ayachi. Damascus: Darninoy for Publishing and Distribution[In Arabic].

--------.(2020). Semiotics, translated by: Muhammad Nabawi. Tehran: Agah Publishing [In Persian].

Raba'a, M .(2012). *Mechanisms of semiotic interpretation*. Kuwait: Al-Afaaq Library [In Arabic].

Rezwan, M .(2001). *The Kingdom of Hell: A Study in Contemporary Arabic Poetry*. Damascus: Union of Arab Writers [In Arabic].

Shartah, I .(2012). *The New in Bushra's Creative Experience*. Amman: Dar Faza'at [In Arabic].

Taheri Nia, A. Al-Yassi, H. and Araji, F. (2022). "Reading the Surfaces to Reading the Indications of the Depths: An Interpretive Approach to the Song of the Lost Kingdoms Poem" *Arabic Language and Literature*.13(1). 108-89. [In Arabic]. Doi:10.22067/jallv13.i1.76832